علل الحديث عند عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي

أ : طارق مصطفى هبال ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

الحمد لله الذي يقول الحق ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، جدد الله به رسالة السماء ، وأحيا ببعثته سنة الأنبياء ونشر بدعوته آيات الهداية ، وأتم به مكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه ، الذين فقههم الله في دينه ، فدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهدى الله بهم العباد ، وفتح على أيديهم البلاد ، وجعلهم أمة يهدون بالحق إلى الحق تحقيقاً لسابق وعده : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}.الآية 55 من سورة النور فشكروا ربهم على ما هداهم إليه من هداية خلقه والشفقة على عباده وجعلوا مظهر شكرهم بذل النفس والنفيس في الدعوة إلى الله تعالى.

في هذا البحث بيان أن ، هذه الأوصاف بالحديث الضعيف ألصق وليست من علم العلل في شيء، ومع ذلك وجد بعض العلماء قد أطلق العلة على الخفي منها والجلي، واستعمال اللفظ بمعناه العام من باب التوسع.

أما الحديث المعل فهو ما اجتمع فيه ركنا العلة، وهذا لا يكون سوى في أحاديث الثقات ؛ لأنَّ الحديث الضعيف خطؤه بَيّن، يتصدى له الناقد، وفق قواعد معلومة، أما أحاديث الثقات فهي موضوع علم العلل وميدانه بمعناه الدقيق، ولا يتصدى لها إلا جهابذة النقاد. وهذا النوع من النقد أوسع من الجرح والتعديل ؛ لأنَّه يواكب الثقة في حله وترحاله، وأحاديثه عن كل شيخ من شيوخه، ومتى ضبط ؟ ومتى نسي ؟ وكيف تحمّل ؟ وكيف أدَّى ؟

إذن علم العلل يبحث عن أوهام الرواة الثقات ويعمل على تمحيص أحاديثهم وتمييزها، وكشف ما يعتريها من خطأ، إذ ليس يسلم من الخطأ أحد(1).

والمختار في هذا البحث هو علل الحيث لعبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ومن أهم مؤلَّفات علل الحديث ويعتبر مصدرًا من المصادر الأصلية حيث جمع فيه ابن أبي حاتم أقوال من سبقه من أهل الحديث وخاصةً والده الإمام أبا حاتم الرازي والإمام أبا زرعة الرازي، في بيان علل أحاديث رويت في أبواب مختلفة؛ كأبواب الزكاة، والصدقات، وذكر كذلك علل بعض الروايات في المغازي والسير... إلى غير ذلك.

مشكلة البحث وتساؤلاته :

يقع الكثير ممن ليس لهم دراية بالأخذ بالحديث الذي فيه علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها ويحتاج هذا إلي تدقيق في انواع الحديث من حيث العلة التي قد ترد في الحديث وهي في حد ذاتها مشكلة تواجه الكثيرين لأخد ما يرد وما لا يرد وعلى هذا فإن الباحث يطرح عدة تساؤلات توضح هذا المصطلح لبيان ماهيته وهي :

س1- ما مفهوم العلل ؟

س2- ما رؤية الإمام الحافظ أبي محمد لعلل الحديث؟

س3-ما أقسام العلة؟ وهل هي يؤخذ بها ؟

أهمية البحث :

تتمثل أهمية البحث في أهمية الحاجة إلي العلم بعلل الحديث ؛ لأنها ما زالت قائمة ، لاسيما أنَّ إعلال الأئمة للأحاديث مبنيٌّ على الاجتهاد وغلبة الظن، وباب الاجتهاد لا يحل لأحد غلقه ، وكذلك فإنَّ من واجب المتأخرين شرح كلام المتقدمين وبيان مرادهم في إعلالات الأحاديث، والترجيح عند الاختلاف.

أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- شرح مفهوم علل الحديث عند عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي.

2- معرفة عقيدة العالم عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي.

3- معرفة أهداف وأهمية أقسام العلة في الحديث .

منهجية البحث :

يعد المنهج الملائم لهذا البحث هو منهج البحث الوصفي ؛ نظراً لما يمتاز به من مقومات الوصف والتحليل والتفسير .

محاور البحث :

المحور الاول ـ مفهوم العلل :

يقسم الإمام الحافظ العلة إلى أكثر من تقسيم، وعلى عدة اعتبارات.

فتنقسم باعتبار محلها إلى قسمين .

وتنقسم باعتبار صورها وأجناسها إلى عدة أقسام وصور.

أما القسم الأول، وهو باعتبار محلها، فتنقسم إلى علة الإسناد، وعلة المتن.

كما يمكن تقسيم هذين القسمين باعتبار القدح من عدمه إلى عدة أقسام.

وقد قسم الحافظ بن حجر(2) العلة على هذا الاعتبار إلى ستة أقسام، ليس هنا مجال التفصيل فيها، وذكر أمثلتها، وسأكتفي بذكرها فقط مراعاة للاختصار وهي:

1- أن تقع العلة في الإسناد ولا تقدح فيه ولا في المتن مطلقاً.

2- أن تقع العلة في الإسناد، وتقدح فيه دون المتن.

3- أن تقع العلة في الإسناد، وتقدح فيه، وفي المتن(3).

4- أن تقع العلة في المتن دون الإسناد، ولا تقدح فيهما.

5- أن تقع العلة في المتن واستلزمت القدح في الإسناد.

6- أن تقع العلة في المتن دون الإسناد(4).

أما القسم الثاني، وهو باعتبار صورها وأجناسها، فتنقسم إلى عدة صور وقد قسمها الحاكم في علوم الحديث إلى عشرة أجناس، دون تصريح بها ولكنه أورد لكل جنس مثالاً يدل عليه، ثم جاء بعده البلقيني والسيوطي وغيرهما(5) فعرفوا بكل جنس من خلال الأمثلة التي ذكرها الحاكم، وسأورد ما ذكره السيوطي في تقسيمه لهذه الأجناس، تاركاً ذكر الأمثلة مراعاة للاختصار، وهذه الأجناس، أو الصور هي :

1- أن يكون السند ظاهره الصحة، وفيه من لا يعرف بين أهل الحديث بالسماع عمن روى عنه.

2- أن يكون الحديث مرسلاً من وجه رواه الثقات الحفاظ، ويسند من وجه ظاهره الصحة.

3- أن يكون الحديث محفوظاً عن صحابي، ويروى عن غيره لاختلاف بلاد رواته.

4- أن يكون الحديث محفوظاً عن الصحابي، ويروى عن تابعي يقع الوهم بالتصريح بما يقتضي صحبته.

5- أن يكون الحديث مروياً بالعنعنة، وسقط منه رجل دل عليه طريق آخر محفوظ.

6- أن يختلف على رجل بالإسناد وغيره، ويكون المحفوظ عنه ما قابل الإسناد.

7- الاختلاف على رجل في تسمية شيخه أو تجهيله.

8- أن يكون الراوي عن شخص أدركه وسمع منه، ولكنه لم يسمع منه أحاديث معينة، فإذا رواها عنه بلا واسطة فعلتها أنه لم يسمعها منه.

9- أن تكون ثمّ طريق معروفة، ويروي أحد رجالها حديثاً من غير تلك الطريق، فيقع الراوي عنه في الوهم، فيرويه من الطريق المعروفة.

10- أن يروى الحديث مرفوعاً من وجه، وموقوفاً من وجه.

ثم قال الحاكم: قد ذكرنا علل الحديث على عشرة أجناس، وبقيت أجناس لم نذكرها وإنما جعلتها مثالاً لأحاديث كثيرة معلولة؛ ليهتدي إليها المتبحر في هذا العلم، فإن معرفة علل الحديث من أجل هذه العلوم.

المؤسسون لعلم العلل :

توالتِ اللَّبناتُ ترص بعضها بعضاً حتى غدا علماً لا يُستهان بجنابه، وقد مرّ علينا قبلُ أنَّ علم العلل بدأ بمحمد بن سيرين ؛ لأنَّه أول من اشتهر بالكلام في نقد الحديث، مروراً بالزهري الذي كان يملي

على تلامذته أشياء في نقد الأحاديث وإعلالها. حتى استقر عند شعبة بن الحجاج، وقد جعل أحد الباحثين شعبة هو المؤسس الحقيقي لهذا العلم ؛ لأنَّ أحداً قبله لم يتكلم بالدقة والشمول اللذينِ تكلم بهما شعبة ؛ ولأنَّ الحديث أصبح صناعة (6) وفناً على يديه، وهو أول من فتّش عن أمر المحدّثين(7) وقد شهد له من جاء بعده، قال الشافعي : ((لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق)) وقال ابن رجب الحنبلي : ((وهو أول من وسّع الكلام في الجرح والتعديل، واتصال الأسانيد وانقطاعها ، ونقّب عن دقائق علم العلل، وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم)) (8)

وقد أخذ عن شعبة يحيى بن سعيد القطان، وهو من أوائل من صنّف كتاباً في العلل كما ذكر ابن رجب ، وأخذ عنه أيضاً عبد الرحمان بن مهدي وهو من رجال هذا الفن، وعنهما أخذ يحيى بن معين وإليه تناهى علم العلل، وفيه قال أحمد : ((ها هنا رجل خَلَقه الله لهذا الشأن)) (9) ، وعلي بن المديني شيخ البخاري الذي قال عنه أبو حاتم : ((كان علي بن المديني عَلَماً في الناس في معرفة الحديث والعلل)) (10) وأحمد بن حنبل، ثم جاء بعدهم البخاري طبيب الحديث في علله، ومسلم الذي أماط اللثام عن علل خفية في أحاديث الثقات في كتابه " التمييز "، وأبو داود الذي قرر قاعدة عظيمة في هذا الباب مغزاها أنَّه قد يخرّج الحديث المعلول، ويسكت عن بيان علته بقوله : ((لأنَّه ضرر على العامة أنْ يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب... ؛ لأنَّ علم العامة يقصر عن مثل هذا)) (11) وأبو زرعة الذي لمّ شتات هذا العلم مع أبي حاتم، وجمع علمهما عبد الرحمان بن أبي حاتم في مصنّفه وتلاهم جماعة منها النسائي، والعقيلي، وابن عدي، والدار قطني ولم يأتِ بعدهم من برع فيه، وأخال ابن الجوزي قال قولته فيمن جاء بعدهم : ((قد قَلَّ من يفهم هذا بل عدم)) (12)

المحور الثاني :

كيفية معرفة العلة في الحديث:

1- الإلهام من الله سبحانه وتعالى الناشئ عن الإخلاص لله تعالى وممارسة هذا العلم بحفظ متونه والنظر في رجاله، فبه يستطيع المحدِّث التمييز بين صحيح الحديث من عليله، وقد لا يستطيع المحدث التعبير عن إقامة الحجة على دعواه. قال عبد الرحمن بن مهدي: معرفة علل الحديث إلهام(13)، فلو قلت للعالم بعلل الحديث: من أين قلت هذا؟ لم يكن له حجة،.. وكم من شخص لا يهتدي لذلك .

2- كثرة الممارسة للحديث ومعرفة رجاله وأحاديث كل واحد منهم يتوصّل به إلى معرفة أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان فيعلّوه الأحاديث بذلك(14)

3- جمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته والاعتبار بمكانتهم من الحفظ ومنزلتهم في الإتقان والضبط. قال علي بن المديني: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه(15).

4- النص على علة الحديث أو القدح فيه أنه معلّ من قِبَل إمام من أئمة الحديث المعروفين بالغوص في هذا الشأن، فإنهم الأطباء الخبيرون بهذه الأمور الدقيقة.

المحور الثالث :

الفروق بين علل الحديث والحديث المعلل

الحديث المعلل كما يوحي الاسم هو حديث نبوي شابته علة منعت صحته وقدحت فيه مع أن الظاهر السلامة في الحديث واشترط علماء الحديث لاستصحاح العلة شرطين هما:
الغموض، والخفاء.

القدح في صحة الحديث:

فحين تكون العلة ظاهرة بغض النظر قادحة أو غير قادحة فلا تؤطر حينها بتعريف العلة الاصطلاحي لكن بعض العلماء يتوسع في هذا كالترمذي الذي يعد النسخ بمثابة العلة لذلك يوجد من الأحاديث الصحاح ما هو معلل.

لذا فإن علم علل الحديث يحتاج إلى حذق وفطنة ودراية فهو قادح في صحة الحديث لكنه خفي فلا يتجلى إلا لفطاحلة المحدثين ؛ لكن يمكن التنبه إليها أحيانا من قبل طريقين:
استفراد الراوي برواية الحديث فلا يؤتى الحديث إلى من تلقائه 1-
2- مخالفة الرواة له إن كان قد روي من سبيل آخر فأكثف مواطن العلل هي الأسانيد فتجد الحديث المرسل قد وصل والحديث الموقوف قد رفع فيظاهر المحدثون حينها على بطلان الحديث احتجاجا بالخلل والعلة التي تكتنفه وقد تكون العلة في المتن من الحديث كذلك

من أمثلة الأحاديث الصحيحة المعتلة التي يصح متنها ويختل سندها ما رواه يعلى بن عبيد عن سفيان الثوري عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب مرفوعا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: (البيعان بالخيار مالم يتفرق)

ففي هذا الحديث وهم يعلى على سفيان الثوري في قوله: عمرو بن دينار. إنما هو عبد الله بن دينار، فهذا المتن صحيح، وإن وجد في الإسناد علة الغلط ؛ لأن كلا من عمرو وعبيد الله بن دينار ثقه. فإبدال ثقة بثقة لا يضر صحة المتن حتى وإن اختلطت أسماء الرواة، ومن أشهر الكتب التي توثق هذا النوع من الأثر كتاب العلل الكبير والعلل الصغير للترمذي وأيضا العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدار قطني.

المحور الرابع :

مخطوطة كتاب علل الحديث وأقوال العلماء فيه :

كتاب علل الحديث او مخطوطة العلل لها تقسيمات وفروع ولعل في هذا البحث أوجز
عن هذه النسخة حيت يعتبر الناسخ مجهولاً ،أما عدد الأوراق 284 ورقة ،وأصل النسخة في مكتبة أحمد الثالث، بتركيا رقم وعنها مصورة في جامعة الإمام رقم 552/ف وللكتاب عدة نسخ أخرى وفيها نبده عن صاحب المخطوط ومؤلفاته.

إن العلل لابن أبي حاتم يطبع حاليا بدار ابن حزم على خمس نسخ خطية و قد انتهيت من مقابلته قبل سنوات ، و كان قد أخذه بعض الناشرين قبل سنتين ثم رده بحجة قلة المال لديه و غيره

أولا– توثيق المسائل بإحالتها إلى الكتب التي نقلتها إما نصا ، أو بعض النص ، أو بالمعنى ، أو أشارت إليها ، أو ذكرت الحكم على الحديث فقط ، و هكذا وذلك باستقراء مئات المجلدات الحديثية ، بل و غيرها.

ثانيا– عزو كل رواية ذكرها المصنف إلى مظانها من كتب الحديث المطبوعة و المخطوطة ، قدر المستطاع ، و بذلك يمكن تقويم السند إن كان فيه اضطراب و تخليط من جهة نسخه .

ثالثا ـ ذكر المتابعات التي فاتت المصنف .

. **رابعا**– سرد أحكام النقاد على الحديث .

خامسا– الترجيح بينها ، إن كانوا قد اختلفوا في مكمن العلة و في غير ذلك .

سادسا– استخراج القواعد و الفوائد الحديثية من العلل ، ترتيبها حسب أنواع علم الحديث **سابعا**– استخراج أحكامهم على الرواة جرحا و تعديلا ، و على الأحاديث تصحيحا و تعليلا ، فمثلا : المنكر و مواضع استعماله ، و باطل ، و هكذا ....

هذا عدا عمل الفهارس العلمية الشاملة ، والمقدمة التي فيها الترجمة لنقاد الرواية في : :الكتاب و هم

1ـ أبو حاتم

2. ـ أبو زرعة

3 ـ ابن الجنيد

4ـ المصنف ابن أبي حاتم

نتائج البحث :

1. ليس كل الأحاديث ظاهرها السلامة، ولا كل علة خفية فمن الأحاديث علتها ظاهرة جلية .
2. الحديث المعلّ ما اجتمع فيه ركنا العلة، وهذا لا يكون سوى في أحاديث الثقات .
3. إعلال الأئمة للأحاديث مبنيٌّ على الاجتهاد وغلبة الظن، وباب الاجتهاد لا يحل لأحد غلقه .

التوصيات :

1 . يوصي الباحث بضرورة عمل بحوث تختص بهذا الموضوع ؛ لأن إعلال الأئمة للأحاديث مبنيٌّ على الاجتهاد وغلبة الظن فمن الواجب توضيح هذه الآراء واستدلال الراجح بها.

2. إرشاد الطلاب في مجال الدراسات الإسلامية والشريعة حول موضوع علل الحديث وبيان جوانبه من حيث إثبات الأدلة فيه .

3. يوصي الباحث بمتابعة أعضاء هيئة التدريس في الجامعة للطلاب الذين لديهم الرغبة بالبحث في هذا المجال وتحفيزهم .

4 ـ ضرورة عقد ندوات وملتقيات حول موضوع الحديث بشكل عام وعللك الحديث بشكل خاص .

5ـ العمل على أن تكون البحوث المقدمة ملمة بهذا الموضوع ومستوفية للمادة العلمية.

6ـ تشجيع مثل هذه البحوث وتقديم النصائح المستمرة ممن لهم باع طويل في علوم الحديث .

7ـ يقترح الباحث إجراء دراسات شاملة على الآراء المستجدة ومقارنتها بما هو سابق لها .

هوامش البحث :

1- وقد ورد هذا القول في شرح علل الترمذي،المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)،المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد،الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ط1، 1407هـ – 1987م 28/1 ط.همام.

2- النكت 2/747

3- جاء هذا القسم في المطبوع من النكت ضمن القسم الذي قبله، وقد سبقني إلى التنبيه إليه د. عبيد الله دمفو في رسالته: مرويات الزهري المعلة ص83.

4- ذكر الحافظ ابن حجر، ولعل مراده أنها تقدح في المتن دون الإسناد، 10انظر معرفة علوم

5- الحديث (ص113)، تدريب الراوي 304/1، توجيه النظر 605/1.

6- إنَّ هذا المصطلح ((صناعة الحديث)) مصطلح قديم، وُجد في العصر الذهبي لعلم العلل، أي في منتصف القرن الثالث، فقد قال مسلم في كتابه " التمييز " (102) : ((اعلم رحمك الله أنَّ صناعة الحديث، ومعرفة أسبابه من الصحيح والسقيم، إنَّما هي لأهل الحديث خاصة ؛ لأنَّهم الحَفاظ لروايات الناس، العارفون لها دون غيرهم).

7- " اللباب في تهذيب الأنساب " 103/2، و" مقدمة شرح علل الترمذي " 30/1 ط.همام، و" العلة وأجناسها " : 30.

8- " رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه،المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،المحقق: محمد الصباغ،الناشر: دار العربية – بيروت،عدد الأجزاء: 1 " :ص 50.

9- تاريخ بغداد وذيوله المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بْن ثابت بْن أَحْمَد بْن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطاط1، 1417 هـ،عدد الأجزاء: 24 ج16/ص268 .

10- تقدمة المعرفة " :264.مرجع اكتروني

11- " رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه،المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،المحقق: محمد الصباغ،الناشر: دار العربية – بيروت،عدد الأجزاء: 1 " :ص 50.

12- الموضوعات " 102/1 ط.الفكر. مرجع اكتروني

13- شيء يرد على قلوبهم وعلم يلقيه الله في نفوسهم

14- شرح علل الترمذي " 805/2 ط.عتر و892/2 ط.همام، و" جامع العلوم والحكم " 133/2 ط.العراقية و: 579-580 ط.ابن كثير.

15- شرح ألفية العراقي ،المؤلف الأصل:أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي (المتوفى: 806هـ)الشارح:عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير ،ج 1/ص227 .

16- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التّميمي الحَنْظَلي الرازي. (240 هـ – 327 هـ) الشهير بابن أبي حاتم. أبوه هو أبو حاتم الرازي الإمام المحدّث الحافظ. أما الرازي فهو نسبة إلى الري و الزاي للنسبة كما في المروزي نسبة إلى مرو الشاهجان.